

طرق حماية التراث الوطني المخطوط من التقنيات التقليدية إلى وسائل الحفظ الحديثة

د. نبيل دريخ

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

مستخلص :

يعد التراث المخطوط أحد أهم مكونات التراث الوطني المتمثل في مختلف الوثائق والأعمال المكتوبة والسجلات الإدارية والمخطوطات الناتجة عن نشاطات المؤسسات المختلفة والهيئات والإدارات وكذا الشخصيات والأفراد والأعلام، وهو يعبر عن تاريخ وماضي الأمة وثقافتها وعاداتها، وحتى نربط الأجيال المتلاحقة بعضها ببعض والحفاظ على الهوية الوطنية، وجب إيجاد طرق ووسائل وأساليب تساهم في المحافظة على الموروث الثقافي والحضاري وإيجاد سبل تلاءم العصر الذي نعيشه وهو عصر التكنولوجيا، ونحاول من خلال هذه الورقة الوقوف على أهم الوسائل الكفيلة بحفظ التراث المخطوط من تشريعات قانونية ولوائح تنظيمية، إضافة إلى الترميم والصيانة، واستغلال الأساليب الحديثة وتكنولوجيا المعلومات والرقمنة، والاستثمار في تقنيات المعلومات والشبكات من أجل الحفاظ على هذه المكتسبات التي لا تقدر بثمن، كما نحاول الوقوف على دور المؤسسات ومراكز الأرشيف والمكتبات بمختلف أنواعها في العمل على حماية هذا التراث والتعريف به وحصره وحفظه وإتاحته، وفق أسس وقواعد علمية مدروسة، والتذكير بأهم أدوارها في المحافظة على هذا الموروث.

Résume :

Le patrimoine manuscrit est considéré comme l'un des composants essentiels du patrimoine national qui comprend les différents documents, les œuvres écrites, les registres administratifs et les manuscrits. Ce patrimoine vient des différentes activités des établissements, des organes, des administrations ainsi que les

personnes, les individus et les médias. Ces manuscrits traduisent et expriment l'histoire et le passé de la nation, de sa culture et de ses coutumes.

Pour relier les générations qui se succèdent et pour sauvegarder l'identité nationale ; il a fallu trouver des procédures, des instruments qui pouvant assurer la préservation de cet héritage culturel et civilisationnel ; comme il faut trouver des moyens conformes avec l'ère actuel, l'ère de la technologie. Dans cette feuille, nous essayons de connaître ces moyens de préservation du patrimoine manuscrit à savoir les législations, les lois, les listes organisationnelles, les restaurations, la maintenance et l'exploration de méthodes modernes qui font appel aux nouvelles technologies d'informatique et du numérique et l'investissement dans les techniques d'informatique et des toiles de net afin de préserver ces trésors. Nous tentons aussi de mettre le point sur le rôle des établissements, centres d'archivage et les bibliothèques en ses différentes formes dans la sauvegarde de cet héritage, sa présentation au public selon des critères et des bases scientifiques bien étudiées ainsi que faire un rappel sur leur rôle dans la préservation de ce patrimoine.

مقدمة :

تزخر الجزائر بمخطوطات كثيرة مترامية الأطراف في مختلف بقاعها الشاسعة من الجنوب الكبير إلى الوسط والشال شرقا وغربا، وهي محفوظة في المكتبات والخزائن، ودور الأرشيف والجامعات ومخابر البحوث، ومن أبرز خزائن المخطوطات ما تحتويه المكتبة الوطنية الجزائرية، وما هو موجود بمركز المخطوطات في ولاية أدرار، والمراكز التابعة له كمركز تلمسان، والخزانة الزبانية القندوسية بولاية بشار، بالإضافة إلى مناطق أخرى كمكتبات الجامعات مثل جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وتعتبر هذه المخطوطات عن أعمال علمية ومعرفية أنجزها أفراد وأعلام نزلوا وعاشوا وترعرعوا بين ثنايا هذا الوطن، وتركوا من ورائهم هاته المخطوطات التي مازالت شاهدة على أعمالهم، ما يجعلنا أمام مسؤولية عظيمة تتمثل في المحافظة عليها وحمايتها

وإيصالها إلى الأجيال اللاحقة دون تغيير أوتزييف أوتحريف أوتحتي ضياع وإتلاف، ومن هنا وجب علينا كباحثين إعطاء حلول مناسبة وأساليب لحماية هذا الإرث الحضاري ألا وهو التراث الفكري المخطوط، وتختلف طرق الحماية بين الحماية المادية والقانونية والتقنية، كما تساهم في هذه الحماية الهيئات والمؤسسات والمعاهد والمخابر التي تعطي الحلول المناسبة لإبقاء المخطوطات أكبر عمر ممكن، من خلال القيام بتحقيقها وفهرستها وصيانتها وترميمها، بالإضافة إلى رقمنتها وتصويرها وتفعيل دور التكنولوجيا في ذلك من تكنولوجيا المعلومات والشبكات.

مفهوم التراث :

يتعدد التراث العربي المادي والغير المادي ويتنوع حيث يعد من أضخم ما قدمته الأمم للحضارة الإنسانية، خاصة في التراث الفكري من مخطوطات وأعمال أسسها علماء سابقون في مختلف مجالات الحياة فنجد التراث العربي في الطب والفلك والرياضيات والعلوم والفلسفة والدين والتراجم والأدب والفنون، والتراث: " هو الميراث الحضاري للمجموعات البشرية، وهو تاريخ ذلك النشاط في مسيرة الحياة، هو الذي يمثل إنجاز الإنسان، وهو التجربة الحضارية الشاملة لتجارب المجتمعات.

تعريف التراث : يطلق لفظ التراث على مجموع نتاج الحضارات السابقة التي يتم وراثتها من السلف إلى الخلف وهي نتاج تجارب الإنسان ورغباته وأحاسيسه سواء أكانت في ميادين العلم أو الفكر أو اللغة أو الأدب وليس ذلك فقط بل يمتد ليشمل جميع النواحي المادية والوجدانية للمجتمع من فلسفة ودين وفن وعمران، وتراث فلكلوري واقتصادي، والأصل من التراث هو كلمة مأخوذة من (ورث) والتي تعني حصول المتأخر على نصيب مادي أو معنوي من

سبقه.

والمعنى المعاصر لكلمة تراث فهو " التراث الفكري المتمثل في الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة ومبتورة فوصلت إلينا بأشخاصها ".
ومن بين أقسام التراث : التراث المادي : لتراث الفكري : التراث الفني :
التراث المخطوط :

تعد مخطوطات العرب المسلمين واحدة من أكبر مدونات ذاكرة هذه الأمة ، فهي نتائج لعبقريّة التدوين ، والتي تجلت بتدوين القرآن الكريم في لحظة مشرقة من ذاكرة الإنسانية ، ويعتبر التراث المخطوط كل ما خلفته لنا الأجيال السابقة من آثار فكرية مسجلة على الألواح أوأوراق البردي ، أومدونة في بطون الكتب التي خطتها أيديهم قبل أن تعرف الطباعة.¹

مفهوم المخطوط العربي : المخطوط لغة مأخوذ من لفظة خط بمعنى كتب أي صور اللفظ بحروف هجائية².

عرفت الموسوعة الأمريكية المخطوط على أنه " المكتوب باليد في أي نوع من الأدب سواء كان على ورق أو مادة أخرى ، ما عدا المواد المطبوعة وكل المخطوطات المتوفرة لديهم مما في ذلك المخطوطات المكتوبة على جلود الحيوانات أو على الورق.³

أنواع المخطوطات العربية : المخطوط الأم ، المنسوب ، المبهم ، المرحلي ، المصور ، المخطوط على شكل مجاميع.
طرق حماية المخطوط :

تتعدد الأخطار المحدقة بتراثنا المخطوط منها ما هي طبيعية ومنها ما هي بفعل الإنسان وعبثه بها لأغراض مختلفة كالسرقة والإتلاف وسوء استعمال لها ،

وقبل التطرق لطرق حماية المخطوطات وجب التطرق إلى أهم الأخطار التي يواجهها المخطوط وهي :
أخطار طبيعية :

يتعرض المخطوط بطبيعته شيء مادي إلى مجموعة العوامل الطبيعية تتمثل في الضوء خاصة إذا تعرضت إليه لمدة طويلة ، لذلك يجب حفظها في أماكن بعيدة عن أشعة الشمس وخاصة الأشعة فوق البنفسجية ⁴ ، ومن بين العوامل الطبيعية نجد الحرارة خاصة المتذبذبة حيث تؤدي إلى إلحاق الضرر بألياف الورق لأنها تتمدد وتتقلص مع تغيرات الحرارة ، ولهذا وجب الحفاظ على المخطوطات تحت درجات حرارة معتدلة ، أما الرطوبة فهي تؤثر كذلك على نمو الفطريات وتعمل على تغيير لونها وتكوين بقع سوداء آو بنية اللون عليها ، ومن بين العوامل الطبيعية الأخرى العوامل الكيميائية مثل الغازات منها ثاني أكسيد الكربون ، وغاز كبريت الهيدروجين ، وغاز النشادر ⁵ ، بالإضافة إلى عوامل أخرى كالأثرية والغبار وكذا الحشرات التي تضر بأوراق المخطوطات.
عوامل بشرية :

كثيرا ما يكون الإنسان له اليد الطولى في إتلاف التراث المخطوط خاصة من خلال مساوئ استعماله أو استخدامه للكتب والوثائق والمخطوطات والخرائط ما يؤدي إلى تلفها وتمزيقها كالأسلوب الخشن في كيفية التوريق وتقليب الصفحات أو استعمال أقلام الحبر والأقلام الملونة ، والكتابة على الكتب والوثائق أو الخرائط ، وكذلك استعمال وسائل غير مناسبة وتضر بأوراق المخطوط مثل الأقلام والديبايس والشفرات ، وعدم الاهتمام بالنظافة أثناء الاستعمال ما يؤدي إلى تفعيل العوامل الكيميائية والطبيعية الأخرى.

الحماية التقليدية للتراث المخطوط :

تعتمد الحماية التقليدية على طرق وأساليب المحافظة على الشكل المادي للمخطوط من خلال الصيانة والترميم وتحتاج عملية حفظ المخطوطات إلى مخازن معينة بمواصفات خاصة ببناء التجهيزات وما إليها، فالبناء يجب أن يكون في منطقة صحية بعيدة عن التلوث الجوي، تحفظه جدران نارية من الحرائق، وتدخل في بنائه مواد تمنع وجود الحشرات فيه ما أمكن ذلك، ويجب استخدام الخزائن الحديدية المتقوية لحفظ المخطوطات، مع استخدام المساند الحديدية أيضاً والرفوف المتحركة، كما يجب أن يتوفر المكان على إضاءة كهربائية غير مباشرة، مع عدم استخدام الإضاءة الزئبقية أو التي تحتوي على الأشعة فوق البنفسجية التي تضر الورق وتغير لونه، ولا بد من توفر درجة حرارة ورطوبة مناسبة، كأن تكون درجة الحرارة بين 20- 25 درجة مئوية، أما الرطوبة بين 50%- 60%، وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن حفظ المخطوطات النادرة يجب أن يتم في درجة حرارة تصل إلى 30 درجة تحت الصفر، أي درجة التجميد الشديد، لأن مثل هذه المخطوطات قديمة جداً، ونادرة الاستخدام، وحفظها في درجة التجميد الشديد يطيل عمرها⁶.

الحماية القانونية للمخطوط :

إن حماية خزائن المخطوطات يدخل ضمن محور حماية التراث الثقافي الوطني، ويندرج المخطوط باعتباره منقولاً منفصلاً عن العقار أو البناء الذي يتألف من خزائن المخطوطات، ضمن نظام خاص لحماية الممتلكات الثقافية المنقولة، ويتعلق بالمحتوى أو المضمون وهو المعيار الموضوعي الذي ينص على حماية الممتلكات الثقافية المتصلة بالدين وتاريخ التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وهو ملك فكري ثقافي منقول، ويصنف المخطوط حسب القانون

المتعلق بالتراث الثقافي مع المطبوعات طباعة استهلاكية، والكتب والوثائق والمنشورات ذات الأهمية الخاصة كتراث ثقافي⁷، وقد حدد المشرع الجزائري مجموعة من الآليات ضمن قواعد التهيئة العمرانية من أجل المحافظة على التراث الثقافي والمعالم الأثرية، التي يندرج ضمنها المخطوط وخزائن المخطوطات.⁸ ببليوغرافيا المخطوطات :

إن التعريف بالتراث الوطني يحتاج إلى جهود متواصلة وأعمال جبارة من أجل حصره وتجميعه والتعريف به، ويندرج في هذا الإطار عملية إعداد قواعد بيانات ببليوغرافية توثق للمخطوطات وأهم الدراسات المتعلقة بها، حيث تساهم حصرة وتوثيق مفردات الإنتاج الفكري المخطوط، والدراسات المتعلقة به وطرحه للباحثين والدارسين حتى يتمكنوا من الرجوع إليه والاستعانة به للكشف على الجوانب الغامضة من التراث العربي والوطني المخطوط⁹ وتعتمد الببليوغرافيا عن الكتابة على الكتب ووصفها وصفا ماديا وموضوعيا من خلال الفهارس والكشافات، وقد بذل علماء الأمة العربية جهودا كبيرة في تسجيل تراثها بمختلف علومه وفنونه من خلال المؤلفات الكتبية والمكتبية أو ما يعرف بالكتب الببليوغرافية منها : الفهرست لابن النديم، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة، وكشف الضنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سرقيس، وخزائن الكتب العربية في الخافقين للفيكننت فيليب دي طرازي حيث أحصى عدد المكتبات العربية في العالم إذ بلغت نحو 500 مكتبة تتمضن نحو 262 مليون مجلد بين مخطوط ومطبوع¹⁰، كما تعتمد المكتبة الوطنية على إعداد الببليوغرافيا الوطنية التي تساهم من خلالها بالتعريف بالرصيد الثقافي الوطني من المخطوطات الموجودة هنا وهناك، ومنه يبرز دور الباحثين المتخصصين في مجال

المكتبات الذين تقع على عاتقهم مسؤولية إعداد دراسات بيبليوغرافية تساعد على حصر الرصيد المخطوط الموجود في مختلف الخزائن والمكتبات والتعريف به على أوسع نطاق، ما يساهم في الحماية الفكرية للمخطوط والسير على خطى اين النديم واضع كتاب الفهرست.

فهرسة وتصنيف وتكشيف المخطوطات :

إن سر بقاء المخطوطات للأجيال المقبلة والمحافظة عليها ليس في صيانتها وحمايتها من التلف فقط بل بالتعريف بها والإشارة إلى أماكن تواجدها في المكتبات من خلال تصنيفها وفهرستها، وتحتاج فهرسة المخطوط إلى جهد كبير من قبل المفهرس حتى يوضح بيانات الفهرسة التي تميز المخطوط عن الكتب الأخرى، كما يجب أن تتوفر مجموعة من المواصفات في مفهرس المخطوطات من بينها أن يكون على ثقافة واسعة ومعرفة بعدة علوم مساعدة، مثل علم المخطوط، علوم البيبليوغرافيا وغيرها، وتعد الفهرسة عملية تدوين البيانات الوصفية عن المخطوط بذكر عنوانه، وموضوعه ومؤلفه والعصر الذي عاش فيه، ومسطرته، وعدد أوراقه وناسخه، وتاريخ نسخه والمعلومات الأخرى المثبتة عليه، من تملك ووقف، وبيان حالته المادية وما يحتوي عليه من ميزات فنية¹¹، وقد بذلت حتى الآن جهود كبيرة على المستويين العربي والدولي لرصد الفهارس بجهود العلماء، وفهرستها، وصدرت أعداد كبيرة من الفهارس بجهود علماء أجلاء، دفعهم لذلك حبهم للتراث وانشغالهم فيه، أو بجهود منظمات عامة أو مؤسسات خاصة تتمثل في المكتبات ودور النشر ومراكز الأرشفة والمعاهد والجامعات المتخصصة في مجال التراث، وبصدور بطاقة الفهرسة الموحدة للمخطوطات العربية عام 1989، وهي بطاقة يجري اعتمادها اليوم في جميع

الدول العربية ومن قبل الباحثين العرب المهتمين بإصدار الفهارس، وتتضمن هذه البطاقة ستة حقول أساسية وهي :

- حقل المضمون: يحوي هذا الحقل عنوان المخطوط والعناوين الفرعية، والمؤلف مع تاريخ وفاته، ثم الموضوع واللغة التي كتب فيها ثم عبارات البداية والنهاية، وتستخدم التحديد نفسه بالنسبة لكل مخطوط في بعض الأحيان، وهي بحاجة إلى إحالات، لغياب العنوان أصلاً بسبب ضياع بعض الأوراق الأولى أو الأخيرة منه، أو لكون بعض الناسخين ينسون كتابة العنوان، كذلك بسبب تعدد أسماء القدماء من المؤلفين وتنوعها، وهذه كلها لها قواعد محدد يجب اعتمادها.

- بيانات النسخ : وتتضمن اسم الناسخ مع نسبته ومذهبه ومسكنه.. إلخ، ثم مكان وتاريخ النسخ باليوم والشهر والسنة.

- الوصف المادي للمخطوط: مثل رقم المجلد رقم الجزء، نوع المادة التي كتب عليها، وصف الحالة العامة له، وحالته الصحية، وعدد أوراقه وعدد أورواقه، ومقاييسه، كذا نوع خطه، ورسومه وزخاريفه، مع لون مداده وتجليده.

- الإضافات الخاصة بالمضمون: وتشمل إضافات تتصل بمضمونه أولاً تتصل، كالإجازات، السماع، والتوقيعات والملكية، والأوراق المنفصلة عنه.

- البيانات الإضافية: وهي البيانات الخاصة بالنسخة، وبيانات النشر والترجمة، ورقم وجود المخطوط في المكتبة ومجموعته، ومكان الطبع إن وجد وتاريخه ودار النشر مع بيانات التحقيق.

- حقل الملاحظات: أي البيانات المتصلة بالمخطوط والتي لم يكن بالإمكان إدخالها ضمن البيانات السابقة لسبب أو لآخر، ثم الحصول عليها من مصادر أخرى خارجية

أما التصنيف فهو ضم المخطوطات المتعلقة بموضوع معين من موضوعات العلوم مع بعضها البعض وجعل لكل واحدة منها خانة معينة ن فتكون مثلا كتب الفقه على جهة علوم القرآن وكتب الطب.. إلخ، وقد اشتهر تصنيف المخطوطات في المكتبات على الشكل التالي¹² :

القرآن الكريم وعلومه، الحديث الشريف وعلومه، اللغة العربية، وآدابها وعلومها، العقائد وأصول الدين، الكيمياء والعلوم الطبيعية، الفلك وعلومه، الحساب (الرياضيات)، التاريخ السيرة والجغرافيا، التراجم، الطب وعلومه، الفلسفة وعلومها العلوم الغربية، الفقه الإسلامي، أصول الفقه، الأخلاق والتصوف.

أما الكشافات عنصرا ضروريا حيث يتمثل في عدة أنواع منها كشاف العناوين، كشاف المؤلفين، كشاف النساخ، والكشاف الزمني وغيره. تحقيق المخطوطات :

مما لا شك فيه أن حماية وصيانة المخطوطات لا ترتبط فقط بالجانب المادي للمخطوط وحفظه من التلف لكنها ترتبط بما يمكن أن يلحق المخطوط من أدى في موضوعه ومحتواه بقصد من اجل تحريف معناه أو بغير قصد نظرا لصعوبة قراءته وعدم فهم مكوناته، ويدور معنى كلمة تحقيق لغويا حول إحكام الشيء وصحته والتيقن والتثبت، ويعرف عبد السلام هارون علم التحقيق بأنه علم يقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشروط معينة¹³، ويتفق لأغلب الباحثين على أن التحقيق هو عملية بناء النص حتى يكون على الصورة التي تركها عليه مؤلفه، اعتمادا على المقارنة بين كل النسخ التي بقيت من الكتاب، والتحقيق هو بذل الجهد، واستقصاء البحث بغية الوصول إلى حقيقة ما قاله مؤلف النص، وهو كذلك بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى

يمكن الثبوت من استيفائها لشروط معينة، وهو إحياء نص قديم وعرضه عرضاً علمياً دقيقاً، ويرى عبد السلام هارون أن الجهود التي تبذل في كل مخطوط يجب أن تتناول البحث في تحقيق عنوانه واسم مؤلفه ونسبة الكتاب وتحقيق متنه ومحتواه¹⁴.

الحماية الحديثة للمخطوطات (الرقمنة) :

الرقمنة هي عملية استنساخ رقمية راقية تمكن من تحويل الوثيقة مهما كان نوعها ووعائها إلى سلسلة رقمية ويواكب هذا العمل التقني عمل موازي فكري ومكتبي لتنظيم ما بعد المعلومات من أجل فهرستها وجدولتها وتمثيل محتويات النص الرقمي، وتتعدد المفاهيم المتعلقة بمصطلح الرقمنة، إذ هي عملية تحويل مصادر المعلومات على اختلاف أشكالها من (الكتب، الدوريات، التسجيلات الصوتية، الصور.. الخ)، إلى شكل مقروء بواسطة تقنيات الحاسبات الآلية، عبر النظام الثنائي، والرقمنة منهج يسمح بتحويل البيانات والمعلومات، من النظام التناظري إلى النظام الرقمي، وهي عملية أو إجراء لتحويل المحتوى الرقمي الفكري المتاح على وسيط تخزين فزيائي تقليدي إلى شكل رقمي، وتعتبر الرقمنة عملية مهمة ذات قيمة في مؤسسات المعلومات عامة، حيث تعتبر المكتبة الرقمية أن تكون محتوياتها من مصادر المعلومات متاحة في شكل إلكتروني¹⁵، وعادة ما يستخدم مصطلح الرقمنة في نظام المعلومات للإشارة إلى تحويل النص المطبوع، أو الصور إلى إشارات ثنائية، باستخدام أحد أجهزة المسح الضوئي، ويمكن عرضها على شاشة الحاسوب، ومن هنا يمكن القول أن رقمنة المخطوطات هو تحويلها من الأشكال التقليدية الورقية إلى الرقمية ويمكن ذلك معالجتها بواسطة الحاسوب عن طريق أجهزة الرقمنة فينتج من خلال ذلك مخطوطات رقمية (مرقمنة)¹⁶، وتكمن إيجابيات رقمنة المخطوطات في الحفاظ على

المخطوطات من الزوال، وإنقاذها ما تعانيه تحت الأتربة والبنيات، مع القدرة على طباعة المعلومات منها عند الحاجة، وإصدار صور طبق الأصل عنها من دون حجب الوصول إليها، كما تمكن عملية الرقمنة استرجاع المخطوط في شكل رقمي خلال ثواني كما يمكن لعديد الأشخاص قراءتها بصفة متزامنة، وإمكانية الوصول إليها على شبكة الانترنت دون التنقل إلى أماكن تواجدها في الخزائن. كما تعد عملية الرقمنة حماية تقنية غير مباشرة للمخطوطات من المخاطر التي تتعرض لها أثناء المعالجة التقليدية، وتمكن من إظهارها للباحثين دون أي مشكل يطرح، كما تمكن عملية الرقمنة من إتاحتها داخليا وخارجيا ما يمكن الاطلاع عليها إلكترونيا، ومع إمكانية تقسام المعلومات والإتاحة الدائمة لها¹⁷.

دور المؤسسات والهيئات في المحافظة على التراث المخطوط :

دور الجامعات والمكتبات الجامعية :

ظهرت الجامعات الحديثة في أوروبا أواخر القرن الثالث عشر واحتضنت تراث أممها وأقامت مكتبات ضخمة ضمت فيها كل ما خلفته الأجيال السابقة من آثار مخطوطة، وظلت تؤدي هذا الدور إلى أن ظهرت المكتبات الوطنية، وعندما نتحدث عن دور الجامعات في خدمة تراثنا لا بد لنا أن نتناول هذا الدور من ثلاثة أبعاد أو ثلاثة جوانب لا يمكن إغفالها أي منها في التعامل مع التراث، وهي جانب التجميع والحفظ والتعريف والإعلام، وجانب التحقيق والنشر¹⁸، وتعمل الجامعات على إنشاء مكتبات خاصة بالمخطوطات تجمع فيها الأصول والمصورات بالإضافة إلى الفهارس والمراجع، ويمكن القول أن تجميع المخطوط والحفاظ عليه ليس مسؤولية الجامعات ومكتباتها أصلا، إنما هو مسؤولية المكتبة الوطنية أو مكتبة الدولة إذا كان دور الجامعة بالنسبة لتجميع المخطوطات محدود،

فإن دورها في التعريف بها وتحقيقها لا حد له، فكيف للجامعة أن تعرف بتراث الأمة ؟ وما هي طريقها لتحقيق ذلك ؟

تتعدد وسائل الجامعات من أجل التعريف بتراث الأمة من خلال إتاحة الفرصة للطلبة للتعرف على المصادر العربية الأصلية في مجالات تخصصهم من خلال تزويدهم بمعارف وكذا تفعيل دور المكتبة الجامعية للتعريف بهذه المصادر من خلال الخدمات التي تقدمها، وإعداد فهارس وأدلة ببليوغرافية تطلع الطلبة على أهم المخطوطات ومكان تواجدهم، بالإضافة إلى تنظيم ملتقيات وندوات دولية ودورات تدريبية حول صيانة وحفظ وتحقيق المخطوطات ومن أمثلة الجامعات الجزائرية التي ساهمت في إحياء التراث المخطوط نجد.

❖ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية : إن ما تقوم به جامعة

الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية خير دليل على اهتمام الجامعات الجزائرية بالتراث الثقافي المخطوط والعمل على حمايته وهذا ما يتجلى بجهود مكتبة أحمد عروة حيث تقوم بمجموعة من المهام منها ما يتعلق بالفهرسة والتصنيف، والاعتماد على الطرق الحديثة في مجال الرقمنة والمعالجة الآلية للمخطوطات وإتاحتها للباحثين، وتقوم مكتبة أحمد عروة بإخضاع المخطوط إلى أربعة مراحل هي مرحلة التصنيف والفهرسة : حيث تقوم بتسجيل المخطوطات حسب تاريخ الدخول، وتصنيفها بالاعتماد على تصنيف ديوي العشري، ثم إدخال البيانات الوصفية (الرقم، العنوان، المؤلف..)، وذلك بالاعتماد على برنامج سنجاب. مرحلة التصوير الضوئي : في هذه المرحلة يتعرف الجهاز على المخطوط المراد تصويره بواسطة البيانات المدخلة سابقا ويقوم المختص باستخدام الماسح الضوئي لأخذ صور متعددة الألوان للمخطوط من بداياته إلى نهايته، الصفة تلوا أخرى، ثم إرسالها إلى الحاسوب المتصل بالماسح الضوئي لمعالجة هذه الصور.

مرحلة المعالجة : تتم هنا معالجة الصور والتأكد من جودتها، وإزالة الشوائب عنها، وقد يضطر في بعض الأحيان إعادة تصويرها من جديد، ثم تخزينها على ذاكرة الحاسوب وفي أقراص خاصة.

مرحلة البحث والاسترجاع : وتتم باستخدام واجهة البحث سنجاب، حيث تظهر مجموعة من الخيارات أمام الباحث لتحديد المخطوط المراد الاطلاع عيه، وهذه الخيارات هي الرقم، العنوان، المؤلف، الموضوع.. الخ وبعدها يظهر المخطوط على شاشة الحاسوب، ويمكن للباحث الاطلاع عليه والبحث في جزيئاته عن ضالته بأسهل وأسرع الطرق¹⁹.

❖ جامعة أحمد درارية أدرار : إن ما تقوم به جامعة العقيد احمد دراية بأدرار من تنشيط الساحة العلمية الجامعية من خلال تنظيم ملتقيات وندوات دولية حول المخطوطات وكذا تنشيط الساحة العلمية بمجلة متخصصة في التراث وهي مجلة رفوف، ومن خلال ما يقوم به مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا بكلية الآداب حيث نظمت ملتقيات دولية تتعلق بدراسة المخطوطات وتحقيقتها.

❖ جامعة زيان عاشور بالجلفة : بذلت جامعة زيان عاشور بالجلفة جهود مضيئة في العمل على بعث التراث الوطني والاهتمام به والتحسيس بأهميته من خلال أعمال أكاديمية تتعلق بجمع التراث المخطوط والتعريف به، وتمثل ذلك في مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، حيث أسس ونظم مجموعة من الملتقيات تتمحور حول التراث المخطوط نشأته تطوره، جمعه تحقيقه كما ساهم في تأسيس مجلة التراث التي تصدر بشكل دوري.

دور المكتبة الوطنية في حفظ وحماية التراث المخطوط :

تعتبر المكتبة الوطنية هي المسؤولة عن تجميع تراث الأمم وحفظه وتيسيره للباحثين والدارسين ، وتعد وظيفة المكتبة الوطنية في أي دولة من الدول هي تجميع إنتاجها الفكري قديمه وحديثه ، ووضعها تحت تصرف الأجيال المتعاقبة من أبنائها ينتفعون به ويستمدون منه مقوماتهم الثقافية ، وقد سعت المكتبة الوطنية الجزائرية بعد الاستقلال إلى تطوير رصيدها العربي من المخطوطات من خلال جمعها من المكتبات العامة والخاصة ، ويبلغ رصيد المكتبة الوطنية من المخطوطات أزيد من 4200 مجلد مخطوط باللغة العربية وقليل منها باللغات التركية والفارسية ، ويعود تاريخ نسخ أقدم مخطوط إلى القرن الثالث أو الرابع هجري ، وهو جزء من القرآن الكريم مكتوب بخط كوفي ومنسوخ على جلد غزال ن وتتنوع مواضع المخطوطات بين القرآن ، الحديث ، الفقه ، التصوف ، السياسة والإدارة ، الفلسفة والمنطق ، الحساب والهندسة والتقويم ، الفلك والتاريخ خاصة تاريخ الجزائر والمغرب الكبير وإفريقيا ، والطب والنحو والأدب والشعر²⁰ ، وقد شرعت المكتبة الوطنية بداية من 1995 في عملية حفظ ومعالجة المخطوطات وأنشأت قسما خاصا بذلك كما اعتمدت سياسة التوعية والتحسيس بأهمية المحافظة على التراث ، وفتحت المجال لتكوين المكتبيين ومسؤولي أقسام الأرشفة في طرق حماية وحفظ المخطوطات في الزوايا والكتاتيب ، وكذا الباحثين وأعضاء الجمعيات المهتمين بالتراث²¹ .

دور مراكز الأرشفة في صيانة وحفظ المخطوطات :

على غرار المكتبات بمختلف أنواعها ، وخزائن المخطوطات والهيئات والمؤسسات المخول لها حفظ المخطوط كتراث ثقافي منقول ، يمكن القول أن المؤسسات الأرشفية لها دور في ذلك خاصة وأن مركز الأرشفة يقوم بوظيفة

الحفظ المادي لمجموع الوثائق التي تمثل رصيد من النشاطات والأعمال للهيئات والمؤسسات الرسمية والأعلام من خلال توفير أساليب الحفظ المناسبة والمتمثلة في البناء المناسب والمجهز بوسائل الحفظ في درجات حرارة ورطوبة وكذا عملية الصيانة والتجليد وإعداد الميكروفيلم والميكروفيش للوثائق لتسهيل استعمالها بالنسبة للمستفيدين مع تجنب إتلاف الوثيقة الأم، ومن هنا يمكن لمراكز الأرشيف القيام بدور متابعة عمليات صيانة المخطوطات كوثائق تاريخية، وتعتبر المخطوطات من ناحية الشكل بالإضافة إلى الكتب والمجلات والسجلات والعلب الأرشيفية والرزم والخرائط والأشرطة السمعية الصور الفوتوغرافية ووسائل التخزين الالكترونية من الوثائق الأرشيفية التي تخزن في مراكز ودور الوثائق²²، ومن المراكز الأرشيفية نجد المديرية العامة للأرشيف حيث تلعب دورا محوريا في التكفل بالأرشيف الوطني، ومديرية الأرشيف لولاية وهران، مديرية أرشيف ولاية قسنطينة.

دور مراكز وخزائن المخطوطات : من بين أهم الخزائن الوطنية لحفظ المخطوط نجد :

❖ المركز الوطني للمخطوطات : وهو مركز يقع في ولاية أدرار تحت وصاية الوزير المكلف بالثقافة، ومن مهام هذا المركز حفظ المخطوط بالطرق العلمية الحديثة، والاهتمام بعمليات الجرد العام للمخطوطات والتصنيف، والقيام بتحقيق أهم المخطوطات وفهرستها، وتحديد الخريطة الوطنية للمخطوطات ودراسة مكونات المخطوطات المادية كالورق الحبر، صناعة أدوات الكتابة، وصناعة الكتاب، والعمل على إدراج التراث الفكري في الإطار الاقتصادي والسياحي²³.

❖ الخزانة الزبانية القندوسية : وهي موجودة بالجنوب الجزائري بولاية بشار، وتحتوي على العديد من المخطوطات تعود إلى العائلات والرحالة، وهي تقع في

القصر العتيق غرب مدينة القنادسة، تأسست هذه الخزانة من خلال فكرة صاحب المشروع مبارك الطاهر، بدافع غيرته على الموروث الذي تركه الأجداد والذي تعرض للنهب والسرقة، وقام بجمع ما بقي من هذا الإرث وحفظه وتنظيمه وفهرسته وقام بتصوير المخطوطات ووضعها في أقراص مضغوطة، وتزخر الخزانة الزبانية بعدد معتبر من المخطوطات بلغ عددا 200، موجودة في الفهارس ومحفوظة في حافظات بلاستيكية موضوعة في ثلاث خزائن زجاجية، وهي موزعة على مواضيع متعددة منها : التصوف، العقيدة، الحديث، التاريخ، الأدب، الطب، كما تقوم الخزانة الزبانية بوظائف مختلفة تتعلق بالمحافظة على تراث المنطقة وإنقاذ ما تبقى منه من التلف والضياع، ونفض الغبار والنسيان عن المخطوطات والوثائق القديمة، وإخراج كنوزها من سجن الخزائن إلى أيدي الدارسين²⁴.

خاتمة :

تعتبر المخطوطات جزء لا يتجزء من ذاكرة الأمة وتراثها المادي الذي يعبر عن مجموعة من الأفكار والمعلومات التي دونها أجدادنا، ما يضعنا أمام مسؤولية حفظها وصيانتها وإيصالها إلى الأجيال اللاحقة ما وجب الاهتمام أكثر بها، وعلى هذا الأساس نحاول أن نضع بعض النقاط التي نراها مناسبة للعمل على حفظ التراث المخطوط وحمايته من خلال ما يلي :

- ضرورة الاهتمام أكثر بالمخطوط كوعاء مادي في شكله الأصلي والاهتمام أكثر بطرق الحفظ المختلفة التقليدية منها للحفاظ على المخطوط الأصل، والعمل على الاستثمار في التكنولوجيا خاصة الرقمية منها لنشر التراث المخطوط والمحافظة عليه بالطرق الحديثة.

- تشجيع الباحثين والمهتمين الأكاديميين ورجال القانون على الاهتمام أكثر بالتراث المخطوط على أنه موروث حضاري وجب حمايته من منطلق وظيفة كل منهم ن والاتجاه نحوالحفاظ عليه.
 - توحيد الجهود بين المؤسسات من اجل وضع قواعد بيانات متعلقة بالتراث المخطوط بين كل من المكتبات الوطنية والجامعية، ودور الأرشيف، وخزائن مراكز المخطوطات.
 - تكوين أكاديميين ومكتبيين مهتمين بإعداد الفهارس والكشافات والقوائم الببليوغرافية التي تعمل على حصر الإنتاج الفكري المخطوط، من اجل تزويد المهتمين والمختصين بالمعلومات اللازمة حولها والمساهمة في الحفاظ على الذاكرة الجماعية للتراث المخطوط.
 - تشجيع مؤسسات المجتمع المدني والجمعيات على التحسيس بأهمية التراث وتنظيم ملتقيات وندوات خاصة بذلك.
- إحالات :

-
- ¹ - عبد الستار الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، 2001، ص 58.
 - ² - فضل جميل كليب، فؤاد محمد خليل عبيد، المخطوطات العربية فهرستها علميا وعمليا، دار جرير، 2006 ص 29
 - ³ - نفس المرجع، ص 30.
 - ⁴ - نفس المرجع، ص 43.
 - ⁵ - يحيى بن بهون حاج احمد، جهود المكتبة الوطنية الجزائرية في حماية وترميم المخطوطات، من خلال دورة تكوينية بمخبر الحفظ والتجليد، مجلة رفوف، عدد 3، خاص بالملتقى الدولي حول المخطوطات، ديسمبر 2013، ص 76.
 - ⁶ - المخطوطات العربية وأهميتها، وسبل حمايتها والإفادة منها، موقع إلكتروني تمت الزيارة
- 2017/03/31
<http://wilayah.info/ar/?p=2135>

- 7 - قانون 98-04، المتعلق بالتراث الثقافي.
- 8 - وناس يحي، الآليات القانونية لحماية المخطوطات وخزائنها في القانون الجزائري، مجلة رفوف، عدد خاص بالملتقى الدولي حول المخطوط، ديسمبر 2013، ص 95.
- 9 - محمد فتحي عبد الهادي، التراث لمخطوط دليل بيبليوغرافي بالإنتاج الفكري العربي، مصر، مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي، 2009، ص 07
- 10 - محمود محمد الضاحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضر عن التصحيف ولتحريف، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1984، ص 23.
- 11 - نظام حماية التراث المخطوط في المملكة العربية السعودية، 1422.
- 12 - حسين جهاد الحساني، المخطوط العربي تأريخه وصنعه تطوره، مجلة ينابيع تصدر عن مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية في النجف الأشرف، العراق، العدد 23، 2008.
- 13 - دريخ نبيل، المخطوط العربي تأريخه وتطوره ومقومات صناعته، مجلة التراث، العدد الأول، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول لعلم صناعة المخطوط، أبريل 20012، ص 93.
- 14 - ميلود فضة، بين الكوديكولوجيا والتحقيق، مجلة رفوف عدد 3، خاص بالملتقى الدولي للمخطوط، جامعة أدرار، ديسمبر 2013، ص 36.
- 15 - مولاي محمد، دور الرقمنة في حفظ واسترجاع المخطوطات الجزائرية بغرب إفريقيا، مجلة رفوف، العدد 2، أكتوبر 2013، ص 46.
- 16 - نفس المرجع، ص 48.
- 17 - نفس المرجع، ص 61.
- 18 - الحلوجي عبد الستار، المرجع السابق، ص 60.
- 19 - مكتبة أحمد عورة، موقع إلكتروني، تمت الزيارة بتاريخ 2017/03/27. <http://www.univ-emir.de/bi/makh1.php>
- 20 - يحي بن بهون، المرجع السابق، ص 73.
- 21 - نفس المرجع، ص 74.
- 22 - إبراهيم بوسمغون، تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها في مجال الأرشفة، أرشيف ولاية قسنطينة نموذجاً، جامعة منتوري قسنطينة، رسالة ماجستير علم المكتبات، 2009، ص 26.
- 23 - بوقاعدة، البشير، التراث الجزائري المخطوط، دراسة في أهمية التحقيق وآليات التفعيل، جامعة سطيف.
- 24 - بقدر مريم، واقع خزائن المخطوط بالجنوب الجزائري من خلال الخزائن القندوسية الزبانية " تشخيص واقتراحات، مجلة رفوف، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول المخطوط، ديسمبر 2013، ص 21.